موانئ ومراسي البحر الأحمر
وخليج السويس وسواحلها

مقدمة

يأتي هذا النص اعتمادًا على مصدر ملاحي وجغرافي نادر من القرن التاسع عشر، هو كتاب Guglielmo Kropp (غوليلمو كروب)، Materiali per la geografia fisica e per la navigazione del Mar Rosso، الصادر سنة 1872م، في نسخته الإيطالية المترجمة عن الأصل الألماني. (Fiume) في فيومه ويُعد هذا العمل من المصادر المهمة في دراسة جغرافية البحر الأحمر والملاحة في موانئه وسواحله، لما يتضمنه من أوصاف ميدانية دقيقة للمرافئ والمراسي، وطبيعة السواحل والشعاب المرجانية، ومسارات الدخول والخروج، وأحوال الرياح والتيارات، وتوافر المياه والمؤن، فضلًا عن ملاحظات مناخية وحرارية مرتبطة بالمواقع التي تناولها. وتؤكد الفهارس الببليوغرافية القديمة نسبة الكتاب إلى غوليلمو كروب وصدوره في فيومه سنة 1872م.

وقد اعتمدت هذه المادة على ما أورده كروب في وصفه لعدد من موانئ ومراسي البحر الأحمر وخليج السويس وسواحلهما، مع نقل محتوى النص إلى العربية وصياغته بأسلوب واضح يحافظ على المعنى الملاحي والجغرافي للمصدر الأصلي، دون إغفال المصطلحات والأسماء الجغرافية الواردة فيه.

ويكتسب هذا المصدر أهمية خاصة لاحتوائه على أربع خرائط مرفئية نادرة، مخصصة لموانئ الطور، والوجه، وجدة، وسواكن، وهي خرائط ذات قيمة تاريخية في توثيق صورة هذه الموانئ ومعالمها الملاحية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كما يذكر الوصف الببليوغرافي للكتاب أنه صدر مصحوبًا بأربع مخططات للموانئ وجداول أرصاد جوية

ترجمة الشريف عبدالعزيز بن عبدالله آل عجلان القاسمي

باحث ومهتم بتاريخ البحر الأحمر ومدنه وشعوبه

موانئ ومراسي البحر الأحمر وخليج السويس وسواحلهما

أولًا: الطور (El Tor)

يُسمى الطور أيضًا جبل الطور، وهو الميناء الوحيد المحمي جيدًا في خليج السويس، إلى جانب ميناء السويس، ولا يزال يقع ضمن مضيق جوبال في شبه جزيرة سيناء.

وعلى الرغم من خلوه من أي حركة تجارية، فإن هذا الميناء الصغير مهم للسفن التي تواجه في المضيق رياحًا معاكسة قوية، إذ تجد فيه مرسى آمنًا من ضربات البحر.

وصف الميناء وطبيعته

يتكون الميناء نفسه من لسان أرضي منخفض يمتد نحو الجنوب، ومن شعب مرجاني يتصل باللسان ذاته. ونحو الجنوب يكون الميناء مفتوحًا، غير أن رأس جوبال، وهو البروز الممتد قليلًا نحو الخارج، يحميه من أمواج الجنوب الشرقي.

وعلى الجانب الجنوبي الغربي، وأمام مدخل الميناء تمامًا، يقع حاجز من الشعاب المرجانية للطور، يبلغ طوله أكثر من ميل، ويتراوح عرضه بين 2 و2.5 غومة (قامة حبل).

وفي بعض الأماكن لا يتجاوز عمق هذا الحاجز المرجاني 1.5 إلى خطوتين. ولا يكاد يُستبان تكسر الأمواج فوقه حتى مع وجود رياح شمالية غربية قوية، ولذلك يجب إيلاء هذه الظروف قدرًا كافيًا من الانتباه عند الاقتراب من الميناء.

مداخل الميناء

يمكن دخول الميناء من شمال الشعاب المرجانية للطور أو من جنوبها.

أما المدخل الأول، فعلى الرغم من كونه أضيق، فإنه مع الرياح السائدة القادمة من الشمال والشمال الغربي يكون أكثر ملاءمة، ولا سيما للسفن الشراعية القادمة.

أما المدخل الآخر، الواقع في الجنوب، فهو، وللسبب ذاته، أنسب بصورة أكبر للسفن المغادرة للميناء.

الساحل شمال الطور وجنوبه

إلى الشمال من الطور، حتى شعب خوسوان، يمكن الاقتراب بجرأة من الساحل، الذي يكون في هذا الجزء جبليًا وينحدر بسرعة كافية نحو البحر.

أما إلى الجنوب من الطور، فيبدأ ساحل مستوٍ تحيط به شعاب مرجانية متعددة.

ولتجنب هذه الشعاب، وكذلك شعب الطور نفسه، فإن السفن التي تصل من الجنوب وترغب في الرسو في ميناء الطور ينبغي لها أن تقترب من البر أعلى الطور بقليل، ثم توجه مسارها لمسافة قصيرة على طول الساحل.

وفور تجاوزها، على بعد نحو 0.3 غومة، الشعب المتصل باللسان الأرضي، والذي يُعرف بوضوح من اللون الأخضر الأكثر إشراقًا للمياه ومن تكسر الأمواج، تعطف نحو المرسى.

السكان والمنشآت

يقع الطور في الطرف الشمالي للخليج، وتوجد فيه نحو 18 إلى 20 منزلًا بائسًا من الحجر، يقطنها نحو 100 نسمة من طائفة الروم الأرثوذكس.

وإلى الجنوب قليلًا من هذا الموقع يقع حصن قديم شبه متهدم.

المياه والمؤن

لا تُستقبل في الطور مؤن من أي نوع، غير أنه إلى الشرق من نقطة الرسو، وعلى مقربة شديدة من الشاطئ، يوجد ما يشبه البئر، ماؤه صالح للشرب بدرجة كافية، ويمكن الاستقاء منه مجانًا.

وفضلًا عن هذا البئر، يوجد أيضًا في القرية العربية «وادي»، التي تبعد نحو نصف ساعة مشيًا، نبع مياه عذبة. غير أن السكان لا يستخدمونه؛ لأن استعمال مائه يسبب عادة اضطرابات وأمراضًا في المعدة.

وبالقرب من الطور يوجد كذلك نبع معدني حار، يشتهر بكونه مفيدًا للصحة، ولا سيما في علاج الروماتيزم.

محطة الحجر الصحي

منذ عام 1865، أُقيمت في الطور، طوال فترة موسم الحج، محطة للحجر الصحي (الكارنتينا). ولهذا الغرض تُرسل إليها سنويًا من الإسكندرية سلطة صحية، اعتبارًا من نهاية فبراير حتى نهاية مايو.

ولا يمر الحجاج بالموقع مباشرة، ولكن إذا اندلع وباء على متن سفينة واصلة إلى السويس محملة بالحجاج خلال فترة الملاحظة الصحية البالغة خمسة أيام، فإنه يتم إرسالها مجددًا إلى الطور لقضاء فترة الحجر الصحي.

مخطط الميناء

أُعد مخطط ميناء الطور المرفق بناءً على الرفوعات وسبر الأغوار التي أجراها ضباط وتلامذة السفينة «نارينتا» (Narenta).

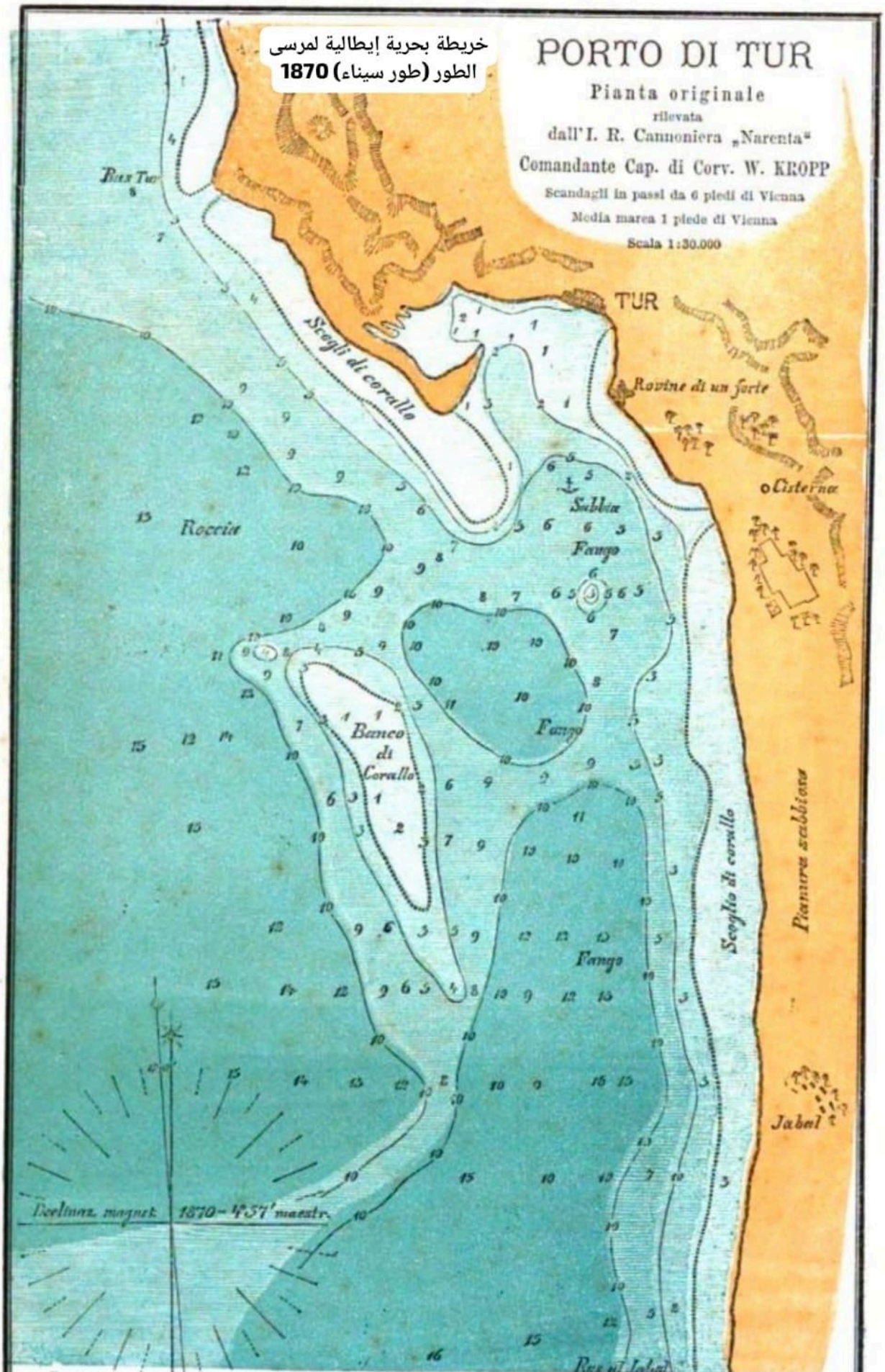
خريطة بحرية إيطالية لمرسى
الطور (طور سيناء) 1870
PORTO DI TUR
Pianta originale
rilevata
dall'I. R. Cannoniera „Narenta"
Comandante Cap. di Corv. W. KROPP
Scandagli in passi da 6 piedi di Vienna
Media marea 1 piede di Vienna
Scala 1:30.000
TUR
Rovine di un forte
Cisterna
Sabbia
Fango
Roccie
Banco di Corallo
Scoglio di corallo
Pianura sabbiosa
Jabal
Declinaz. magnet. 1870 = 4°37' maestr.

ثانيًا: الوجه (El Wish / Wedgee)

الوجه (El Wish)، ويُعرف على الخرائط الإنجليزية باسم Wedgee، ليس له كذلك أي أهمية للتجارة، غير أنه يُزار كثيرًا من قبل سفن الملاحة الساحلية التي تجوب البحر في كلا الاتجاهين.

طبيعة الميناء

يُشار إليه بوصفه (Moresby) «في تعليمات الملاحة الإنجليزية الخاصة بـ«مورسباي (excellent harbour) ميناءً ممتازًا.

غير أن الميناء الصغير ضيق جدًا، ولا يوفر سوى للسفن متوسطة الحجم مرسى مقبولًا. وحتى بالنسبة لهذه السفن، فإن الفراغ اللازم للدوران الكامل محدود بدرجة تجعل المناورة صعبة.

ويضاف إلى ذلك أنه مع الرياح القادمة من الشمال الغربي، تنفذ إلى داخل الميناء أمواج بحرية قوية إلى حد ما.

ولذلك سيكون من الأنسب الرسو بأقرب قدر ممكن محاذاةً للشعب المرجاني في الشمال، والربط جيدًا نحو الجنوب الشرقي، ولا سيما أنه حتى مع وجود رياح عليلة من الشمال الغربي خلال النهار، كثيرًا ما تهب ليلًا رياح قوية من الشرق والجنوب الشرقي.

وقاع المرسى جيد.

المدينة والقلعة

استنادًا إلى المخطط المرفوع من قبل الإنجليز، يبدو أن الميناء مهجور ومتروك تمامًا؛ غير أننا وجدنا في شمال الخليج بلدة لا بأس بها ذات منازل حجرية، كما وجدنا أعلى المدينة قلعة لا تزال بحالة جيدة جدًا.

وهذه القلعة مرئية بالفعل من مسافة بعيدة فوق الساحل المستوي تمامًا، وتصلح للسفن التي توجه مسارها نحو الميناء بوصفها علامة إرشادية ممتازة.

مدخل الميناء والمعالم الملاحية

الوجه أحد الموانئ القليلة التي لها مدخل خالٍ تمامًا. وفضلًا عن ذلك، يسهل الاستدلال أمام الساحل (Riekah / Reka) «عليه لوجود جزيرة «ثقبة.

وبالنسبة للسفن متوسطة الحجم التي تبحث عن ملاذ في هذه الأرجاء بسبب الرياح القوية القادمة من الشمال الغربي أو لأي سبب آخر، فإن ميناء الوجه سيكون دائمًا ملاذًا ممتازًا.

المؤن والحماية

أما المؤن فلا يتوفر منها سوى الخراف ومياه الشرب الجيدة، وإن كانت باهظة الثمن؛ لأنها تُنقل على ظهور الجمال من الداخل في قرب من جلد المعز.

وحمايةً للحجاج الذين يتوجهون من هنا إلى المدينة المنورة، تحتفظ الحكومة المصرية هناك بفصيل من الفرسان قوامه 50 رجلًا، فضلًا عن مدفعين ميدانيين.

خريطة بحرية إيطالية لمرسى
الوجه **1870**

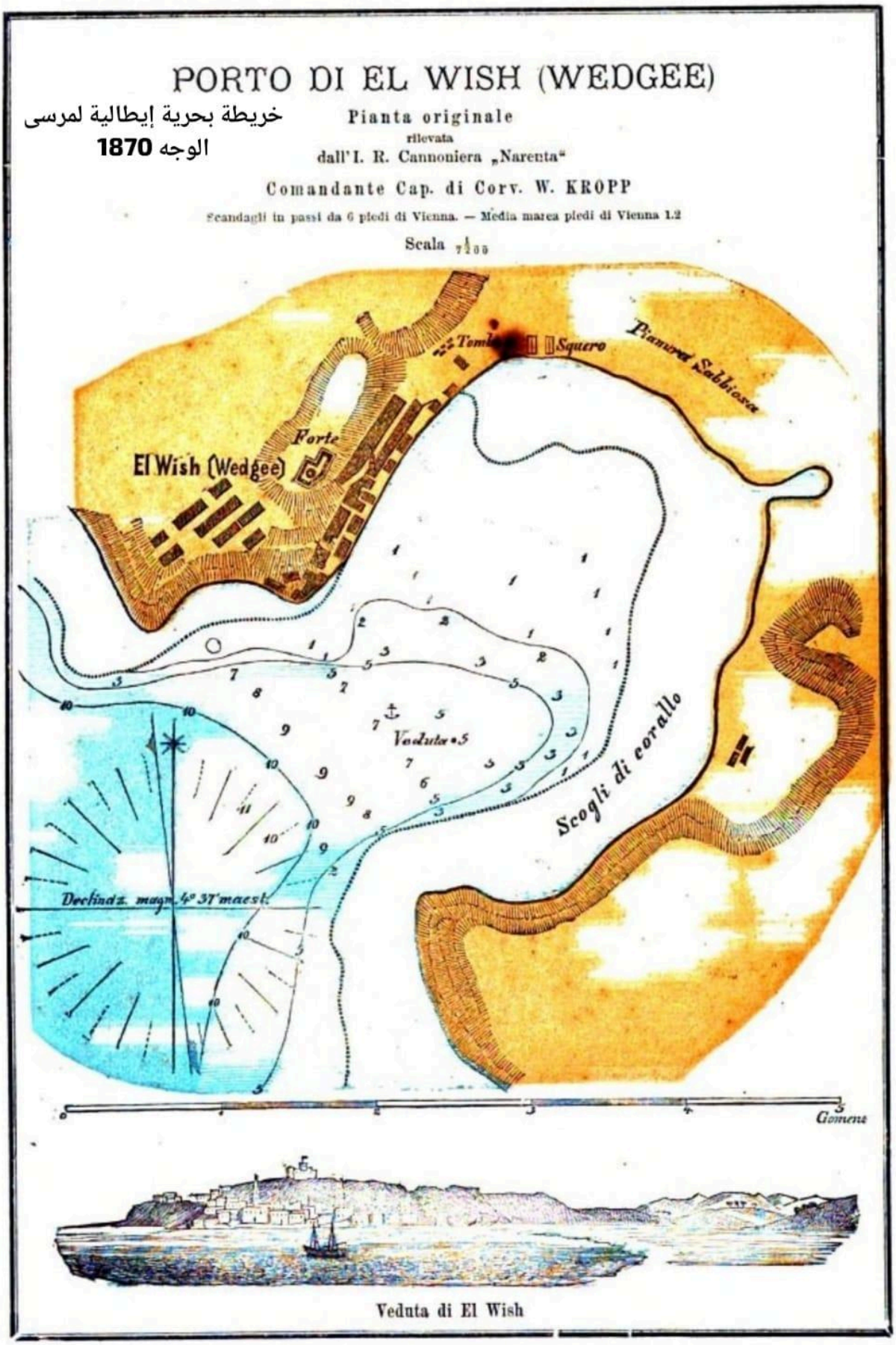

ميناء المدينة المنورة — (Yambo) ثالثًا: ينبع

تُسمى ينبع ميناء المدينة المنورة.

وفي موسم الحج تقصدها سفن كثيرة، معظمها من سفن الملاحة الساحلية، حيث ينزل فيها الحجاج المتوجهون إلى مكة عبر المدينة المنورة. أما بالنسبة إلى التجارة، فليس لها أي أهمية.

الميناء والمدينة

الموقع مزود بميناء صغير محمي من كل ضربات البحر، مع قاع مرسى جيد.

وتقع المدينة، المكونة في معظمها من منازل مبنية من الحجر، إلى الشمال الغربي من الميناء، وهي بائسة جدًا.

وعندما ينقضي زاد المؤن، قلما يُعثر عليه، وحتى مياه الشرب رديئة وباهظة الثمن.

كما يتميز السكان بغيرتهم وتشددهم ضد الأوروبيين، ولذلك يجدر توخي أقصى درجات الحذر والحيطة في التعامل معهم.

الملاحة والدخول والخروج

الرسو في الميناء، وإن كان المدخل ضيقًا جدًا، لا يطرح مع الرياح السائدة القادمة من الشمال الغربي أي صعوبة، حتى بالنسبة للسفن الشراعية.

غير أن الخروج من الميناء مع وجود نسيم خفيف لا يخلو من الأخطار بالنسبة للسفن الشراعية، إذ يُعثر خارج الميناء مباشرة، وبشكل عام، على بحر هائج قادم من الشمال الغربي، يدفع بقوة نحو الشعب المرجاني الواقع إلى الجنوب من المدخل.

والقواعد التي يجب اتباعها للإبحار نحو الميناء موضحة بالكامل في تعليمات الملاحة الإنجليزية.

وفي حال غياب معالم بارزة وموثوقة، يتوجب هنا أيضًا، كما هو الحال في كل مكان على طول الساحل، وضع مراقب جيد لتدقيق النظر، بغية تجنب الشعاب المرجانية القابعة أمام الميناء.

غير أنه يمكن الاقتراب بجرأة من هذه الشعاب دون خوف من الخطر، لكون المياه عميقة في جوارها المباشر تمامًا، وتكشف هذه الشعاب عن وجودها في الطقس الصافي دون أدنى شك، من خلال اللون الأخضر الفاتح للبحر وتكسر الأمواج.

رابعًا: جدة (Djiddah)

يبلغ عدد سكان جدة نحو 20,000 نسمة، وهي المركز التجاري الأكثر أهمية في البحر الأحمر.

وتقع على بعد 60 ميلًا فقط من مكة، وهي فضلًا عن ذلك المحطة الرئيسية للحجاج القادمين من الهند وأفريقيا والسويس، والذين يصل عددهم سنويًا إلى نحو 40–50 ألفًا.

الميناء والشعاب المرجانية

تملك المدينة ميناءً ممتازًا، غير أنه لكونه يقع وسط شعاب مرجانية متعددة، يجعل الرسو صعبًا للغاية، ولا سيما بالنسبة للسفن الشراعية.

ولتحديد المدخل، أُقيمت في الأزمنة الأخيرة على الشعاب المرجانية عدة أهرامات بيضاء (من الحجر، كما وُضعت بعض الطافيات (البويات.

وهذه العلامات إما موضحة بشكل خاطئ على مخطط الميناء الإنجليزي، أو مفقودة تمامًا، ولذلك وجدتُ من المناسب تمثيلها على المخطط المرفق بهذه المذكرة.

مسارات الدخول

بشكل عام، يتم الدخول إلى الميناء بعد المرور بالأهرام الواقع فوق «إلهام»، إلى الجنوب من «فلاحة»، أو إلى الشمال بين الهرم الحجري والطافية الحمراء.

ثم يتم النفاذ عبر ما يسمى البوابة الداخلية، بين شعبي «أبو حارث» و«بحري»، والعطف نحو الجنوب حول شعب «بري» باتجاه المرسى.

العلامات الإرشادية

في الطقس الصافي، توفر كل من سلسلة الجبال ذات المعالم الواضحة التي تقع في الداخل، والمدينة التي يمكن رؤيتها بفضل كتلة منازلها البيضاء ومآذنها المرتفعة من مسافة 12 إلى 14 ميلًا بحريًا، معالم إرشادية جيدة.

ولكن الأمر ليس كذلك في الطقس الضبابي والغائم، الشائع جدًا، خاصة في أشهر الصيف، حيث لا يمكن رؤية المدينة ولا الجبال التي خلفها حتى من مسافة قصيرة جدًا.

وفي المرتين اللتين رسبنا فيهما هناك، إحداهما في فبراير والأخرى في مايو 1870، كان أول معلم جرى استبيانه هو الهرم الأبيض الحجري المقام على شعب «إلهام».

ولذلك، في الطقس الضبابي الغائم، سيكون من الضروري إجراء رصدات فلكية جيدة قبل الاقتراب من الساحل.

المؤن والمياه

تمتلك جدة سوقًا واسعًا ومزودًا بالبضائع بشكل جيد.

وتتوفر فيها من المؤن الخراف والدجاج ومختلف الخضروات، وأحيانًا حتى بعض الفواكه.

غير أن المياه في أشهر الصيف تكون شحيحة جدًا، ولذلك فهي باهظة الثمن.

أما الفحم الحجري فلا يتوفر إلا في أوقات معينة من السنة.

المناخ ودرجات الحرارة

مناخ جدة، وإن كان منتظمًا بدرجة كافية سواء في الشتاء أو الصيف، إلا أنه مزعج جدًا بسبب الرطوبة العالية في الهواء، التي تُنهك البدن للغاية، ولأن انخفاض الحرارة وتلطيف الجو خلال الليل يكون في حده الأدنى.

وكانت درجات الحرارة من 28 يناير حتى 5 فبراير 1870، شاملة، كالتالي:

- المتوسط: 24.1° مئوية -.
- القصوى: 27.6° مئوية -.
- الدنيا: 21.4° مئوية -.

ومن 1 إلى 30 يونيو 1870، شاملة:

- المتوسط: 28.6° مئوية.
- القصوى: 30.3° مئوية.
- الدنيا: 27.3° مئوية.

خريطة بحرية إيطالية لمدخل
ميناء جدة لعام **1870**م

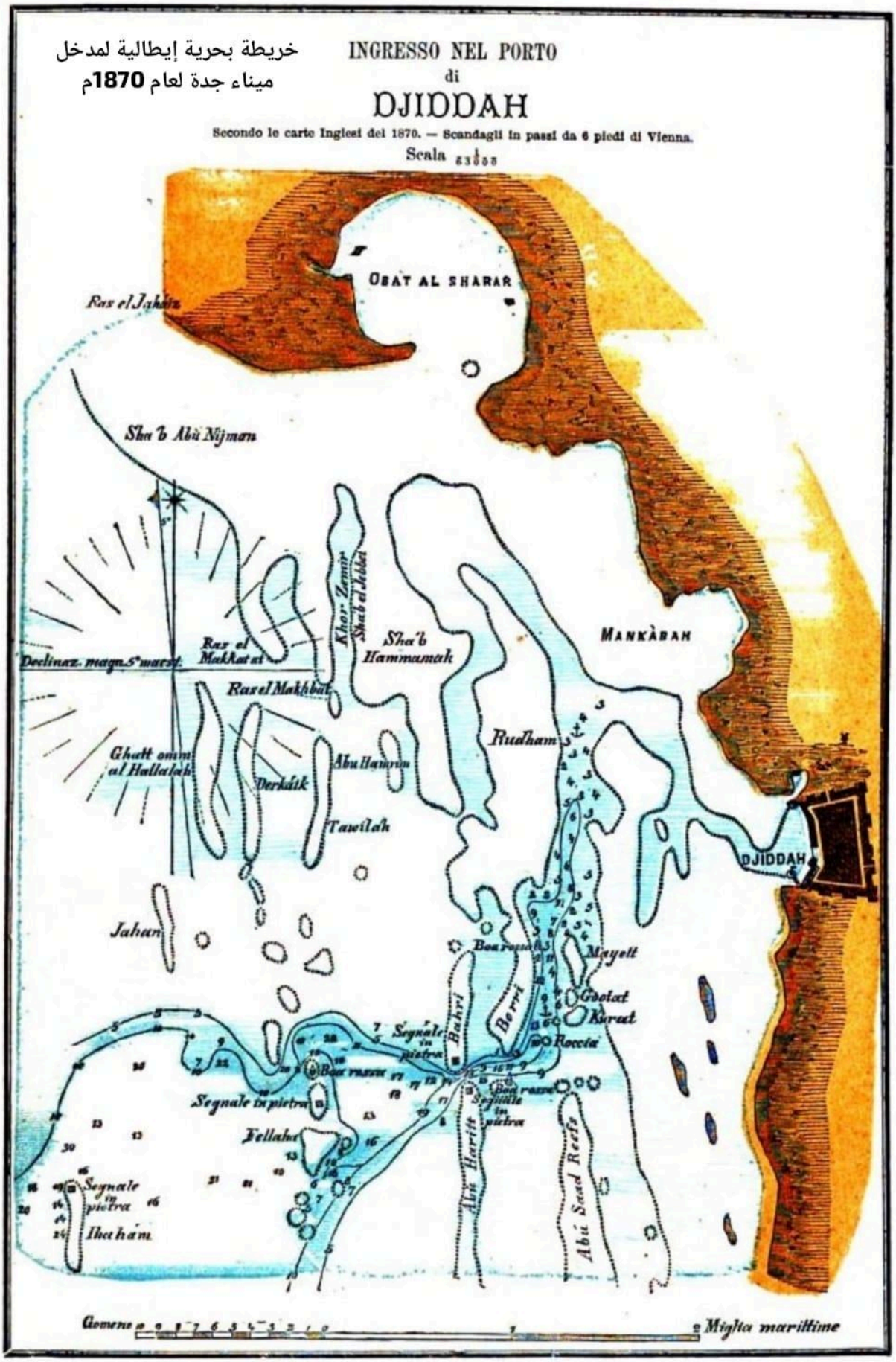

خامسًا: الحديدة (Hodeda)

وصلت الحديدة إلى أهميتها الحالية فور تراجع مدينة المخا، وهي حاليًا المرفأ الرئيسي لاستيراد وتصدير اليمن.

المدينة والتجارة

يبلغ عدد سكان المدينة نحو 30,000 نسمة.

وهي متسعة بدرجة كافية، وتحوي عددًا من المنازل الكبيرة والملحوظة، وشوارع نظيفة، وسوقًا غنيًا بالبضائع.

وتتوفر فيها من المؤن الخراف والدجاج، وحتى الخضروات والفواكه، بأسعار معتدلة.

المرسى وطبيعة الساحل

للأسف، لا تملك الحديدة أي ميناء، بل مجرد مرسى محمي بشكل بائس من الجنوب بواسطة بنوك مرجانية بارزة، وهو مفتوح تمامًا في بقية الجهات.

ومع الرياح الجنوبية السائدة هناك، يكون البحر بالتالي شديد الاضطراب.

غير أنه نحو المساء يحل الهدوء في الغالب، وفي وقت لاحق يحل نسيم البر الذي يستمر حتى الساعة التاسعة أو العاشرة صباحًا.

وتستغل القوارب هذا النسيم الأخير لشحن أو تفريغ بضائع السفن الراسية على مسافة كافية من المدينة.

ولذلك يقترن شحن البضائع وتفريغها بسلبيات كثيرة جدًا، ولا سيما بسبب الغياب التام لرسيف لإنزال القوارب، ولأن عمق المياه بالقرب من المدينة ضئيل جدًا.

ولذا يتوجب نقل كافة البضائع من البر إلى القوارب، ومن القوارب إلى البر، على أكتاف الرجال.

أفضل مرسى

أفضل مرسى يقع إلى الغرب–الجنوب الغربي حتى الجنوب الغربي من القلعة الجنوبية، (على عمق يتراوح بين 3 و4 خطوات، وعلى مسافة نحو 23 غومة (قامة حبل.

والمدينة، بمنازلها العالية ومآذنها المطلية باللون الأبيض، مرئية في الطقس الصافي حتى مسافة من 10 إلى 12 ميلًا بحريًا.

الصادرات والموانئ المجاورة

أهم مادة مخصصة للتصدير هي القهوة، غير أنه يُصدر أيضًا من الملاحات المجاورة الكثير جدًا من الملح إلى الهند.

وكثير من السفن الهندية المحملة بالحجاج العائدين من جدة ترسو هنا، أو في ميناء «شورمة» المحمي جيدًا، والذي يقع على بعد 10 أميال من الحديدة، وتتوفر فيه أيضًا مياه شرب جيدة.

وتظهر على مدينة الحديدة كل علامات الازدهار المستقبلي بدرجة أكبر، ولذلك من المؤسف جدًا أنها لا تملك ميناءً جيدًا؛ إذ إن ميناء «شورمة» المذكور سالفًا بعيد جدًا عن المدينة.

سادسًا: اللحية (Loheia)

تقع اللحية على بعد 60 ميلًا إلى الشمال من الحديدة، بين الجزر والشعاب المرجانية التي تمتد من رأس باياث (Ras Bayuth) نحو الشمال.

المدينة والميناء

اللحية بائسة، وتتكون في معظمها من أكواخ القش، غير أنها تمتلك بعض الأهمية بفضل تصديرها للقهوة.

والميناء الصغير الضيق جدًا لا يصلح، في أفضل الأحوال، إلا للسفن متوسطة الحجم، وعمقه ضئيل.

وهو فضلًا عن ذلك يبعد 4 أميال عن الموقع نفسه، الذي يتصل به عبر قناة طبيعية لا تسمح، بسبب قلة عمقها، إلا بمرور القوارب.

«أما السفن الكبيرة فتجد إلى الشمال–الشمال الغربي من جزيرة «حمريك (Humreek)، على عمق من 7 إلى 9 خطوات، مرسى أكثر راحة ومحميًا بشكل جيد، ولكنه يبعد أكثر عن البلدة.

الممرات البحرية

تؤدي إلى اللحية عدة ممرات بين الجزر المنخفضة والشعاب المرجانية.

وأكثر ممرين راحة ويسهل التعرف عليهما هما:

السفن القادمة من الشمال:

وهي جزيرة مرجانية طويلة، (Okbane) «الممر الواقع إلى الجنوب من «عقبان (Cadamom) «و«كدمبل الكبيرة (El Bother) «ومستوية تقع بين «البُثُر Kebeer).

وبعد ذلك تُترك جزيرة «حمريك» على اليسار، ويسهل تمييزها بفضل مسجد مدهون باللون الأبيض، ثم تُواصل السفينة المسير نحو المرسى.

وهنا يجب إيلاء انتباه خاص للسان الأرضي الواقع إلى الشرق من «حمريك»، فهو منخفض ويبرز بوضوح نحو البحر.

السفن القادمة من الجنوب:

تمر بالأحرى بين «رأس باياث» و«كمران»، ثم تبحر بعد ذلك شمالًا على طول الجزيرة المذكورة.

غير أنه يتوجب عليها الحذر جيدًا من شعبين مرجانيين إلى الغرب والغرب–الجنوب يقعان على يمين الممر المائي المتروك، (Ras Harram) «الغربي من «رأس هرام للملاحة.

المؤن

لا يُعثر في اللحية من المؤن إلا على بعض الخراف في أفضل الأحوال، وقليل من الماء، وهو ماء راكد أيضًا.

المخا سابقًا: (Mocca / Moccha)

كانت المخا في وقت من الأوقات الميناء الأكثر تميزًا لتصدير واستيراد اليمن، لكنها أصبحت الآن دون أي أهمية تجارية.

وتلك الكتلة من المنازل، التي لا تزال مهيبة بدرجة كافية وتُرى من جهة البحر، ليست في الواقع سوى كومة من الخرائب.

المرسى

المخا، على غرار الحديدة، لا تملك سوى مرسى مفتوح محمي بشكل بائس من الجنوب بواسطة بعض البنوك المرجانية.

ويلاحظ علاوة على ذلك أنه مع الرياح الجنوبية لا يحل هدوء في المساء ولا نسيم بري كما هو الحال في الحديدة، بل إن الرياح الجنوبية القوية التي تتقدم من مضيق باب المندب لا تفقد شيئًا من شدتها، وتكاد لا تبدأ في التناقص التدريجي لآثار قوتها إلا بعد تجاوز المخا مباشرة.

ولذلك فإن البحر المضطرب باستمرار من الجنوب يجعل المرسى غير مريح للغاية.

غير أن قاع المرسى ممتاز، ويوفر بالتالي للسفن الشراعية ذات الغاطس غير الكبير، إذا دهمتها الرياح الجنوبية القوية في هذه الأعالي، مرسى مقبولًا ومرحبًا به.

الاقتراب من الميناء

الاقتراب نحو المخا لا يطرح أي صعوبة؛ إذ يمكن تمييز المدينة بسهولة من مسافة بعيدة بفضل كتلة منازلها البيضاء.

وإلى الشمال من المخا يكون الساحل خاليًا تمامًا، ويمكن للسفن الاقتراب بجرأة حتى عمق من 8 إلى 10 خطوات.

غير أن السفن القادمة من الجنوب يتوجب عليها البقاء على مسافة لا تقل عن 5 أميال عن الساحل؛ لأن البنوك المرجانية الواقعة إلى الجنوب من المخا تمتد بوضوح نحو الخارج،

ولا تعطف نحو المرسى إلا عندما يرصدون الشرق اتجاهًا رابعًا نحو الجنوب بالنسبة إلى الطرف الشمالي للمدينة.

وبهذه الطريقة يتجنبون ما يسمى بـ«الشعب الشمالي» (North-Shoal).

وبالتحديد إلى الغرب من القلعة الشمالية يوجد مرسى جيد، بحسب غاطس السفينة، على عمق يتراوح بين 20 و25 قدمًا من الماء.

وفي الأزمنة الأخيرة اكتُشف إلى الغرب–الجنوب الغربي، على بعد 3.75 ميل من الطرف الشمالي لمدينة المخا، بنك رملي لا يتجاوز عمق المياه فوقه 18 قدمًا فقط.

ويقع هذا البنك تمامًا على مسار السفن الذاهبة والآيبة، ولذلك يجدر إيلاء اهتمام خاص له.

المؤن والمياه

أما المؤن التي يُعثر عليها في المخا، فتقتصر في أقصى الأحوال على بعض الخراف والدجاج.

ومياه الشرب رديئة.

ثامنًا: مصوع (Massaua)

تقع مصوع على الساحل الأفريقي، إلى الشمال من خليج أركيكو (Argigo)، داخل بنوك ضلك.

وهي مبنية فوق جزيرة مرجانية صغيرة منخفضة، يقع إلى الشمال منها الميناء، وهو صغير ولكنه محمي بشكل جيد.

المدينة والتجارة

يضم الموقع بضعة منازل حجرية بائسة فقط، بينما يتكون بقية المكان من أكواخ القش.

والتجارة هامة بدرجة كافية، لكون مصوع تقع على مقربة شديدة من الحبشة، وهي الوسيط في تجارة التصدير والاستيراد لهذا البلد.

غير أنه من النادر جدًا أن تُزار مصوع من قبل السفن الكبيرة.

ومع ذلك، تصل إلى هذه الأرجاء بانتظام، كل 14 يومًا، السفن البخارية البريدية المصرية، ولهذا السبب أنشأت حكومة مصر هناك مستودعًا صغيرًا للفحم.

المؤن والمياه

المؤن، مثل لحم البقر والخراف والدجاج، متوفرة بأسعار معتدلة.

أما الخضروات فنادرة للغاية.

وفي سنوات الجفاف، يتوجب نقل مياه الشرب غالبًا من أماكن بعيدة على القوارب أو الجمال، غير أنها في العادة تكون كافية.

المناخ

الظروف المناخية ليست مواتية على الإطلاق للأوروبيين، وخاصة في أشهر الصيف، حيث ترتفع درجة الحرارة أحيانًا حتى 52 درجة مئوية.

وفي شهر يناير من عام 1870، خلال الأيام الأربعة لإقامتنا، كانت درجة الحرارة المتوسطة على متن السفينة في الظل تتراوح بين 26 و28 درجة مئوية، والقصوى بين 29 و30 درجة مئوية، والدنيا بين 23 و27 درجة مئوية.

واستنادًا إلى بعض الرصدات لعام 1865، والتي تزودت بها بلطف من نائب القنصل الفرنسي في المكان، السيد مونتسينجر (Munzinger)، كانت درجة الحرارة في شهري يوليو وأغسطس كالتالي:

يوليو

الساعة 7 صباحًا:

- المتوسط: 34.2° م.
- القصوى: 36.0° م.
- الدنيا: 32.0° م.

الساعة 1 ظهرًا:

- المتوسط: 35.6° م.
- القصوى: 41.0° م.
- الدنيا: 34.0° م.

الساعة 6 مساءً:

- المتوسط: 35.0° م.
- القصوى: 37.0° م.
- الدنيا: 34.0° م.

أغسطس

الساعة 7 صباحًا:

- المتوسط: 33.4° م.
- القصوى: 36.6° م.
- الدنيا: 34.8° م.

الساعة 1 ظهرًا:

- المتوسط: 37.0° م.
- القصوى: 41.0° م.
- الدنيا: 37.3° م.

الساعة 6 مساءً:

- المتوسط: 28.5° م.
- القصوى: 30.0° م.
- الدنيا: 29.0° م.

وكما يتضح، فإن انخفاض الحرارة وتلطيف الجو خلال الليل يكون في حده الأدنى حتى في هذا الموسم

الرسو داخل الميناء

لكون الميناء ضيقًا جدًا بحيث لا يترك للسفن الكبيرة سوى مساحة ضئيلة للدوران، فسيكون من الأفضل الربط جيدًا فور الرسو.

في أشهر الشتاء، حيث لا يُخشى هبوب رياح البر القوية (السموم)، يمكن الرسو بمحاذاة الجزيرة وإلقاء المخطافات الصغيرة شمالًا، بحيث تستقر السفينة بالعرض.

أما في أشهر الصيف، التي تهب فيها رياح السموم الشديدة الحرارة أحيانًا بعنف كبير، فمن الأفضل الرسو في وسط الميناء والربط مع التوجيه بمقدمة السفينة نحو الغرب، لكون رياح البحر تكون خفيفة فقط.

ممرات الدخول

للدخول إلى مصوع بالسفن الكبيرة لا يوجد في الواقع سوى ممرين اثنين: أحدهما شمالي والآخر جنوبي.

وكلا الممرين يسيران بدرجة كافية على طول الساحل بين بنوك ضلك.

وصحيح أنه يوجد في وسط الشعاب المرجانية البارزة التي لا تحصى التابعة لبنوك ضلك قنوات للسفن الأصغر حجمًا، والتي تُستخدم أيضًا من قبل السفن الساحلية (البواقل/Bagelohs).

غير أنه لا يُنصح بهذه القنوات على الإطلاق للسفن الكبيرة، على الأقل إلى أن تُقام فنارات وعلامات وطافيات وما إلى ذلك، والتي تفتقر إليها في الوقت الحالي تمامًا.

وكلا الممرين في الداخل على طول الساحل خاليان تمامًا، وإن كان يُنصح هنا أيضًا بوضع مراقبين جيدين للتدقيق في الأماكن الأكثر ضحالة.

ولذلك فإن السفينة التي ترغب في التوجه نحو مصوع ينبغي لها أن ترتب بحيث توجد في الصباح مبكرًا على مقربة من الشعاب المرجانية الأخيرة، لتمكينها من الوصول إلى الميناء في النهار.

ومع وجود رياح عليلة قادمة من الجنوب–الجنوب الشرقي، يتولد تيار شمالي قوي إلى حد ما، ينسرب على طول الساحل وبين الشعاب.

ويتوجب إيلاء اهتمام خاص لهذا التيار أيضًا.

تاسعًا: سواكن (Suakin)

تقع سواكن هي الأخرى على الساحل الأفريقي، وتتمتع بفضل اتصالها ببلاد السودان بأهمية كافية للتجارة والملاحة.

والمدينة، مثل مصوع، مبنية فوق جزيرة مرجانية منخفضة ومستوية، تقع في شبه بحيرة (لاغونا)، وتتصل بالبحر عبر قناة طبيعية ضيقة، يبلغ طولها نحو ميلين، ويتراوح عرضها بين 1.5 و2 غومة (قامة حبل).

طبيعة المدينة والسكان

يتكون الموقع تقريبًا بأكمله من أكواخ القش البائسة، مع سكان فقراء للغاية.

أما المؤن التي يُعثر عليها فتقتصر على الخراف والدجاج، ولا توجد خضروات على الإطلاق.

ومياه الشرب، المنقولة من اليابسة في قرب من جلد المعز، صالحة بدرجة كافية وليست باهظة الثمن.

المناخ

لا يختلف المناخ كثيرًا عن مناخ مصوع.

وخلال إقامتنا في منتصف شهر يوليو من عام 1870، كان الحر قاهرًا بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ ارتفع ميزان الحرارة على متن السفينة في الظل إلى 40 و42 درجة مئوية، وفي اليابسة، بطبيعة الحال، يرتفع بضع درجات إضافية.

وحتى الليالي لم تكن توفر سوى تلطيف ضئيل جدًا للجو

.

التجارة والاتصال البحري

.تصدير واستيراد البضائع المنفذ بواسطة سفن الملاحة الساحلية ليس ضئيلًا

وفي الأزمنة الأخيرة أصبحت السفن البخارية البريدية المصرية تقيم اتصالًا كل 14 يومًا .مع جدة والسويس، ولذلك أنشأت الحكومة المصرية هناك مستودعًا للفحم أيضًا

الميناء والمخطط الملاحي

مخطط الميناء الموجود ضمن الخرائط الإنجليزية دقيق تمامًا، غير أنه تفتقر فيه فقط .الأهرامات الحجرية والطافيات التي وُضعت مؤخرًا لتعليم المدخل والممر الداخلي

وفي المخطط المرفق هنا، روعي إدراج مواقع الأهرامات والطافيات (البويات) على حد .سواء

مواقع الرسو

بالنسبة للسفن الكبيرة، يقع أفضل مرسى إلى الشمال–الشمال الغربي من الجزيرة .المرجانية الواقعة شمال سواكن، والتي يوجد عليها أيضًا مستودع الفحم

.أما السفن الأصغر حجمًا فتجد قاع مرسى مريحًا إلى الشمال من سواكن نفسها

ولكن نظرًا لظهور رياح البر القوية (السموم) هنا أيضًا، كما هو الحال في مصوع خلال الصيف، ولعدم وجود مساحة كافية لدوران السفينة بالكامل، فسيكون من الضروري الربط .جيدًا في كلا موقعي الرسو

الاقتراب من الميناء

الجزر والشعاب المرجانية العديدة الواقعة أمام الساحل في أعالي سواكن، والمنتشرة .بدرجة كبيرة، تجعل الممر خاليًا بحيث يمكن الاقتراب من الميناء من جميع الاتجاهات

غير أنه لكون مواقع بعض البنوك المرجانية غير محددة بدقة متناهية، ولأنه لا يمكن تمييز الجزر المرجانية المنخفضة التي لا ترتفع سوى أقدام قليلة فوق مستوى البحر إلا من مسافات قريبة جدًا، وفضلًا عن الغياب التام للفنارات والعلامات الملاحية، فإن القاعدة

المعمول بها، على الأقل بالنسبة للسفن القادمة من الشمال، هي الاقتراب من الساحل عند «مستوى ميناء «الشيخ برغوث (Scheikh Baroud).

ثم الإبحار داخليًا بين الشعاب محاذاةً للساحل نحو سواكن، وذلك بعد الاستبيان الواضح للقبة الضريحية المدهونة باللون الأبيض والمبنية عند الطرف الشمالي للمدخل.

خريطة بحرية إيطالية لمدخل ميناء سواكن لعام **1870**م

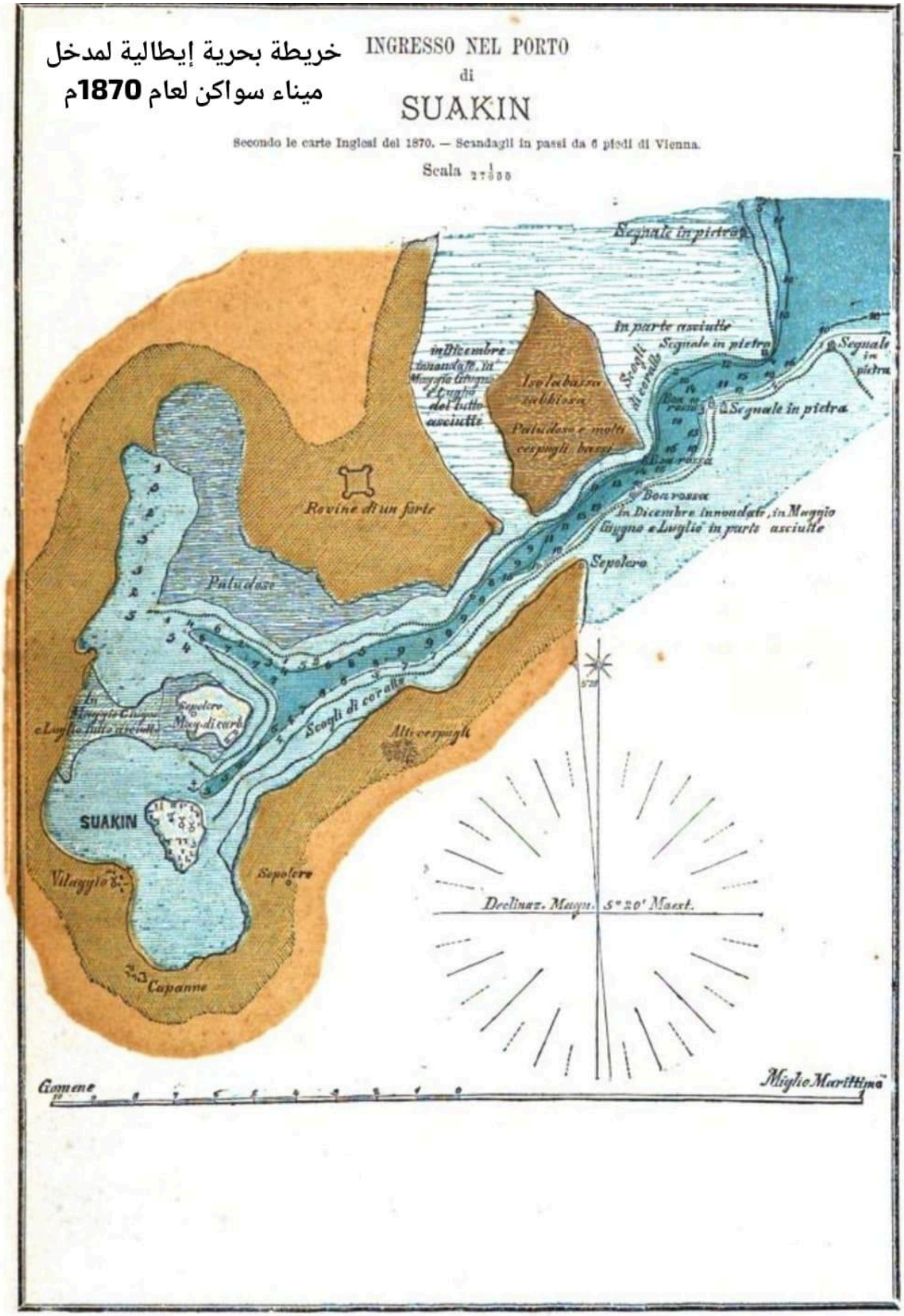

عاشرًا: القصير (Cosira)

تقع القصير على بعد نحو 100 ميل إلى الجنوب من شدوان، وتقام فوق ساحل منخفض ومستوي، ولكنه خالٍ من الجزر والشعاب المرجانية.

ولا تملك سوى مرسى مفتوح محمي نوعًا ما نحو الشمال، مع مرسى متوسط الجودة للسفن الكبيرة إلى الجنوب–الجنوب الشرقي من البنك المرجاني.

والبحر مضطرب دائمًا تقريبًا بسبب الرياح السائدة القادمة من الشمال.

المدينة والتجارة

المدينة، المكونة في معظمها من منازل وأكواخ بائسة، ليس لها أهمية أخرى سوى الحفاظ على تجارة نشطة نوعًا ما بواسطة سفن الملاحة الساحلية.

كما أن جانبًا كبيرًا من حبوب التصدير القادمة من أقاليم النيل العليا والموجهة إلى الحجاز تعبر عن طريق القصير.

وفي الأزمنة الأخيرة أصبحت توجد أيضًا ملاحة منتظمة بدرجة كافية بواسطة السفن البخارية البريدية المصرية مع السويس وجدة.

المؤن والمياه

أما المؤن فيُعثر فيها على الخراف والدجاج، ولكن لا يوجد أي نوع من الخضروات أو الفواكه.

ومياه الشرب شحيحة ورديئة.

ولا يتوفر الفحم الحجري على الإطلاق.

الملاحة والاقتراب

«للالتفاف والوصول إلى الميناء، سيكون من الأفضل استبيان جزيرتي «الأخوين (Two-Brothers) وتوجيه المسار بعد ذلك مباشرة نحو القصير.

فالساحل منخفض جدًا، والمدينة لا تُرى إلا من مسافات قصيرة، ولذلك سيكون من الصعب جدًا الحصول على معلم إرشادي آخر.

وعند الإبحار بالسفن الشراعية، يجب مراعاة حساب التيار القادم من الشمال على طول الساحل بشدة كافية؛ لأن هذا التيار يجعل التعرج بالمناورة (البرطشة) صعبًا جدًا في حال الاقتراب أكثر من اللازم نحو الجنوب.

حادي عشر: مراسي خليج السويس

يتميز خليج السويس بشح المرافئ والمراسي.

فباستثناء ميناء الطور، لا يضم سوى مراسٍ مؤقتة قليلة جدًا، والتي لا يمكن استخدامها إلا مع الرياح الشمالية، دون أن توفر أي حماية ضد الرياح الجنوبية.

وأفضل هذه المراسي الأخيرة هو الخليج الواقع إلى الجنوب من فنار الزعفرانة (Zafarana).

غير أنه يُوصى بتوخي أقصى درجات الحذر والحيطة عند استخدام هذه المراسي في الشتاء وفي الربيع أثناء هبوب رياح الخماسين.

فالرياح القادمة من الشمال كثيرًا ما تنكسر فجأة لتتحول إلى الجنوب وتزداد شدةً، وحينها قد تضطر السفن الشراعية بسهولة إلى مواجهة رياح جنوبية عاتية مع بحر هائج فوق ساحل يقع تحت مهب الريح.

انتهى....

المصدر: Guglielmo Kropp, Materiali per la geografia fisica e per la navigazione del Mar Rosso, con quattro piani di porto e dodici tabelle meteorologiche, versione italiana dall'edizione originale tedesca, Fiume, 1872، ص 10–26.